الدراسات السابقة في البحوث العلمية

خالد غربي باحث جزائري

تقديم:

لا يمكن أن نتصور قيام بحث علمي مهما كان التخصص الذي يشتغل عليه الباحث من دون اللجوء إلى استعراض الأدبيات المتعلقة بهذا التخصص أو القيام بقراءات حول الموضوع الذي نريد دراسته، فمراجعة الدراسات السابقة نقطة مركزية وجوهرية في البحث العلمي، بل القاعدة الرئيسية لبناء جهد بحثي دقيق وأصيل.

وبرغم من الأهمية البالغة لها إلا أنه كثيرا ما تواجه الباحثين صعوبات في كيفية التعامل معها، وكيفية الاستفادة منها. وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤل التالي: ما هي الدراسات السابقة، وكيف نستفيد منها، وما هي طرق عرضها وشروطها؟

1- تعريف الدراسات السابقة:

تعرف الدراسات السابقة بأنها : "الجهود البشرية السابقة التي بحثت الموضوع الذي يدرسه الباحث بعينه أو موضوعا مقاربا له من زاوية من الزوايا, وفي ظرف من الظروف البيئية المتعددة , مما تم نشره بأي شكل من الأشكال , بشرط أن يكون مساهمة ذات قيمة علمية , وقد يكون النشر بالطباعة أو بالمحاضرة أو الأحاديث المذاعة صوتا فقط ,أو صوتا وصورة , أو تم تقديمها لمؤسسة علمية للحصول على درجة علمية , أو على مقابل مادي, أو بغرض الرغبة في المساهمة العلمية , ولا يندرج تحت هذه الدراسات ما يعد كتبا دراسية , أو مداخل لا تأصيل فيها , أي : مجرد تجميع لمعلومات متوافرة " . [1]

-وهي أيضا: "البحوث التي أجريت حول نفس موضوع بحثنا أو لها علاقة مباشرة به (بجميع أبعاده أو بأهمها) سواء كان مصدرها كتابا أو مجلة أو موقع إلكترونيا أو رسالة/مذكرة جامعية ..." [2]

- وعلى حد تعبير الدكتور رشيد زرواتي هي تلك الدراسات التي تحترم القواعد المنهجية في البحث العلمي، حيث يوجد هذا النوع في الرسائل الجامعية، المجلات أو الكتب , ونشير إلى الدراسات السابقة قد تكون مطابقة تماما للموضوع فيشترط بذلك أن يكون الاختلاف في ميدان الدراسة , كما قد تكون مشابهة .[3]

وبناء على ما ورد يمكن تعريف الدراسات السابقة إجرائيا كما يلي:

-هي كل ما كتب حول الموضوع بطريقة علمية

2-دوافع الإشارة إلى الدراسات السابقة:

من شبه المستحيل البدء من الصفر في البحوث العلمية (فالعلم تراكمي أساسا)، إلا أن الكثير من الطلبة الباحثين يتجاهلون أهمية الدراسات السابقة عند قيامهم ببحوثهم، اعتقادا منهم بأن هذا الجزء من الأمور الشكلية

التي يمكن تجاوزها أو تتم الإشارة إليها باختصار وهذا نتاج لعدم إدراكهم لدوافع وجود الدراسات السابقة في البحث.

ومن هذه الدوافع نذكر:

- تعتبر مصدر هام للباحث في اختياره موضوع محدد وواضح ومضبوط .
- قاعدة انطلاق لأي دراسة علمية نظرية كانت أو عملية وفي كل المجالات.
- تمكن الباحث من الوصول لما يسمى بالفجوة المعرفية وذلك من خلال معرفة الثغرات أو الجوانب التي لم يسبق تناولها أو مناقشتها من قبل الباحثين الآخرين وهي بحاجة ملحة لمساهمة الباحث .
- توسيع قاعدة معرفته ومعلوماته عن الموضوع الذي يكتب عنه .
- تساعد الباحث على تحديد أهداف بحثه بناء على ما انتهى إليه من تحديد الفجوة المعرفية .
- بلورة مشكلة البحث وتحديد أبعادها بشكل أكثر وضوح .
- تزويد الباحث بالجديد من الأفكار والإجراءات التي يمكن أن يستفيد منها في بحثه. فقد تساعد البحوث السابقة في اختيار أداة و وسيلة أو تصميم أداة مشابهة لأدوات أخرى ناجحة استخدمت في تلك البحوث . [4]
- تساعد على رسم فكرة واضحة عن موضوع البحث , ويمكن من التعرف على العناصر التي سيتم إدراجها في البحث نظرا لأهميتها وتوافر المعلومات عنها . [5]
- تمكين الباحث من الوقوف على مختلف الصعوبات التي واجهت الباحثين السابقين , وبأخطائهم من اجل تداركها .

وعموما نستطيع تلخيص دوافع استعراض الدراسات السابقة على حسب آراء بعض المختصين في :

- لا ينطلق أي بحث علمي من فراغ .
- يوجد الكثير من الكتابات حول موضوعات البحث تقريبا .
- لست وحدك من بحث الموضوع.

3- شروط اختيار الدراسات السابقة :

إن اختيار الدراسات السابقة لا يتم بشكل عشوائي , بل هناك معايير تتحكم في اختيارها ومن أهمها :

- تجنب الدراسات السابقة العامة والتي لا ترتبط مباشرة بإشكالية البحث وفي هذا المجال يشير" فضيل دليو" : تكون الأولوية للتي لها علاقة مباشرة بموضوعنا والمشابهة أكثر له , وكذا للأكاديمية منها والقيمة أكثر علميا. [6]
- التأكيد على الاطلاع على الدراسات السابقة من مصادرها الأولية , والابتعاد عن المصادر الثانوية .
- محاولة الابتعاد عن الدراسات القديمة بقدر الإمكان.
- النظر في الدراسات السابقة واحدة بعد الأخرى لمعرفة نسبة وجود عناصر البحث في كل دراسة سابقة .

4- تصنيف الدراسات السابقة :

نشير هنا إلى أن الدراسات السابقة تصنف بطريقتين وهما الأكثر شيوعا:

-التصنيف الكرونولوجي (الزمني)

-حسب متغيرات البحث .

مع أنه تجدر الإشارة إلى أنه توجد تصنيفات أخرى من قبيل :

- حسب المنطقة الجغرافية[7]

- حسب مكانتها للبحث من ناحية البعد والقرب

- حسب نتائجها بالنسبة للدراسة الحالية من حيث التأييد أو المعارضة .

5- كيفية عرض الدراسات السابقة :

في الحقيقة لا يوجد إجماع أو وصفات جاهزة لكيفية عرض الدراسات السابقة , إلا أن هناك عناصر مهمة لا يستطيع الباحث الاستغناء عن ذكرها وإبرازها في دراسته من قبيل :

- صاحب الدراسة .
- عنوان الدراسة .
- الحدود الزمانية والمكانية للدراسة .
- الهدف الرئيسي وراء الدراسة .
- التساؤل الرئيسي للدراسة .
- منهج الدراسة والعينة وخصائصها .
- الأدوات المستعملة في جمع البيانات والمعلومات .
- النتائج المتوصل إليها .

6- موقع الدراسات السابقة في البحث :

في ما يخص تحديد موقع الدراسات السابقة في البحث يلاحظ غياب اتفاق المهتمين حول القواعد المنهجية لكتابة رسائل التخرج في هذا الشأن, غير أنه توجد بعض المدارس التي تعاملت إزاء هذا الموضوع وهي :

المدرسة الأولى:

- حيث يرى أصحاب هذه المدرسة أنها توضع في الفصل الأول أو ما يعرف بإشكالية البحث .

- المدرسة الثانية:

- يرى أصاحب هذه المدرسة بتخصيص فصل كامل لعرض الدراسات السابقة ,غير أنهم يشترطون وجود عدد معتبر من الدراسات السابقة التي تناولت متغيرات الدراسة , مما يستلزم من الباحث الاطلاع المكثف حول الموضوع .

- المدرسة الثالثة:

يرى أنصار هذه المدرسة أنه يمكن ذكر وتوزيع هذه الدراسات قي مقدمة وإشكالية البحث وفي متن فصول التراث الأدبي وفصول الجانب التطبيقي, خاصة في عرض النتائج وتفسيرها . (جابر نصر الدين)

في حالة المدرستان الأولى و الثانية هناك قواعد منهجية يجب إتباعها ومراعاتها عند كتابة وعرض الدراسات السابقة في القرير النهائي للبحث وهي :

- على الباحث الابتداء بالدراسات المطابقة للموضوع بمعنى هناك تطابق بين المتغيرات و المتغيرات في الدراسات السابقة.
- في حالة عدم التمكن من الحصول على الدراسات المطابقة يلجا الباحث للدراسات المشابهة، ويستحسن أن يكون التشابه بداية بين أكبر عدد من المتغيرات البحث ومتغيرات الدراسات السابقة .
- الحرص على ترتيب الدراسات السابقة في كل الحالات ترتيبا كرونولوجيا (تصاعديا أو تنازليا) .
- البداية بدراسات المحلية ثم الدراسات الإقليمية ثم الدراسات الأجنبية .
- يبقى عدد الدراسات السابقة التي تدرج في البحث أو الدراسة يرجع في كل الحالات إلى تقديرات الباحث ومدى تشبعه بالمادة العلمية.

7-كيفية توظيف الدراسات السابقة في البحث:

لا يستطيع الباحث التقدم في بحثه ويصل إلى كل الخطوات المكونة للبحث في حالة امتناعه عن جهد استعراض الأدبيات و القراءات , بيد أن البحث في حد ذاته يقوم على استعراض الأدبيات والقراءات الخاصة بالموضوع . ومن هنا وجب على الباحث الاعتناء بتوظيف واستثمار الدراسات السابقة في بحثه وحسن استغلالها.

ومنه فالقصد بالتوظيف هو الاستخدام المنهجي السليم والمنظم للدراسات السابقة في فصول الرسالة أو الأطروحة , غير أنه يكون حسب موقع عرض الدراسات السابقة في البحث .[8]

ففي حالة المدرسة الأولى والثانية ينصح بما يلي:

-يتبع العرض بموقع البحث الحالي بين هذه الدراسات، مع توضيح الأتي:

-نقاط التشابه والاختلاف بين البحث الحالي والدراسات السابقة من حيث:

المنهج المستخدم، الهدف أو الأهداف. التساؤلات والفرضيات. مجتمع الدراسة وطبيعة العينة المدروسة وحجمها. الأدوات المستخدمة. طريقة تحليل البيانات.

في حالة المدرسة الثالثة السالفة الذكر فان توظيف الدراسات السابقة يتم بالشكل الأتي:

- تدعيم مقدمة وعرض الإشكالية وفي الفصول المتعلقة بالتراث الأدبي للبحث بمعلومات عن اسم الباحث أو الباحثين وسنة ومكان انجاز الدراسة وعلى من أجريت والنتيجة العامة أو الهامة المتحصل عليها.

وهذا الاختصار هو لتجنب التفصيلات لهذه الدراسات على حساب بقية مكونات المقدمة وطرح إشكالية البحث. وتوظف نتائج الدراسات السابقة العامة والجزئية عند عرض وتفسير نتائج البحث من خلال تشابهها أو تقاربها أو ابتعادها ومخالفتها مع هذه النتائج العامة أو الخاصة المتحصل عليها من البحث.

ونشير هنا إلى نقطة هامة وهي أن الإشارة إلى مقارنة النتائج المتحصل عليها في البحث مع نتائج الدراسات السابقة ليست تفسيرا في حد ذاته بل هي عناصر كمية أو كيفية مساعدة عل التفسير.

8- خطوات إجرائية في عرض وتفريغ وتحليل الدراسات السابقة حسب نموذج "جانت " :[9]

أولا: يقوم الباحث بجمع الدراسات السابقة التي يرى أنها مرتبطة بمشكلته البحثية ويفرغها طبقا لنموذج "جانت"

ثانيا: يحدد من هذه الدراسات ما يرى أنها ذات علاقة مباشرة مع مشكلته البحثية، وتلك التي ليست لها علاقة مباشرة.

عناصر المشكلة البحثية/ الدراسات السابقة	العنصر الأول (.....)	العنصر الثاني (.....)	العنصر الثالث (.....)	العنصر الرابع (.....)
الدراسة الأولى (العنوان والمؤلف)				
الدراسة الثانية (العنوان والمؤلف)				
الدراسة الرابعة (العنوان والمؤلف)				
الدراسة الخامسة (العنوان والمؤلف)				

ثالثا: يصمم الباحث جدولا تحتوي خلايا أعمدته على العناصر المتعلقة بمشكلته البحثية، وتحتوي خلايا صفوفه على الدراسات السابقة، ثم يحدد ما كتبته هذه الدراسات عن عناصر مشكلته البحثية، ثم يكتب في ورقة منفصلة ماذا كتبت هذه الدراسات جميعها في هذا العنصر وغيره.

رابعا: يدخل الباحث ضمن خلايا الأعمدة عناصر أخرى مثل (المفاهيم الاصطلاحية - المفاهيم الإجرائية - الإطار النظري - منهج الدراسة - أدوات الدراسة - المصادر والمراجع - المادة العلمية - العقبات - النتائج)، ويحقق الباحث الاستفادة من هذه العناصر على النحو الآتي:

العنصر	وجه الاستفادة
المفهوم الاصطلاحي	في حالة تبني الباحث لهذا المفهوم في الدراسة السابقة يرجع إلى المرجع أو المصدر الأصلي الذي نقلت عنه هذه الدراسة
المفهوم الإجرائي	في حالة اقتناع الباحث بهذا المفهوم في الدراسة السابقة عليه أن يعيد صياغته ليتفق مع مشكلته البحثية

الإطار النظري	ينظر الباحث في إمكانية تبنيه لهذا الإطار وما إذا كان متناسبا مع مشكلته البحثية، وكيف ربطت الدراسة هذا الإطار النظري بالجانب الميداني
منهج الدراسة	ينظر الباحث في مدى تناسب هذا المنهج مع مشكلته البحثية
أدوات الدراسة	ينظر الباحث في مدى تناسب هذه الأدوات مع مشكلته البحثية، وكيف استخدمتها الدراسة، ويمكنه الاستفادة من الاستبانات من زاوية مكوناتها والمحاور والعبارات والأوزان وغير ذلك، كما يقف الباحث هنا على مدى استفادة الباحث من برنامج spss
المصادر والمراجع	ينظر الباحث في هذه المصادر والمراجع، ويرجع إلى تلك التي غفل عنها ولكنه يحتاج إليها في مشكلته البحثية
المادة العلمية	يقف الباحث على مدى توفرها وما إذا كانت سهلة أو صعبة المنال
العقبات	يتعرف الباحث على العقبات المحتملة التي قد يواجهها وكيف تغلبت عليها هذه الدراسة
النتائج	يحدد الباحث أهم النتائج السابقة في هذه الدراسات ذات الصلة الوثيقة بموضوع بحثه، فيستعرضها ويناقشها هي فقط إذا لزم الأمر، ولا يذكر أو يناقش الأجزاء الأخرى عديمة الصلة بموضوع البحث

خاتمة :

من خلال ما تقدم في هذا العرض نخلص إلى أن الدراسات السابقة تشكل ركيزة أساسية ومحورية في البحث العلمي , حيث تمثل نقطة الانطلاق السليمة لكل عمل علمي من خلال مراجعة الأدبيات المتعلقة بالموضوع من جهة وضمان السير الجيد للبحث من دون تعثر, مع إعطاء البحث وجهة واضحة .

التهميش و المراجع :

[1] - سعيد إسماعيل الصيني ، قواعد أساسية في البحث العلمي ، ط 2 ، شبكة الألوكة ، 2010 ، ص 216 .
[2] - فضيل دليو ، مدخل إلى منهجية ابحث في العلوم الانسانية و الاجتماعية ، دار هومة لطباعة و النشر ، الجزائر ، ص2014 ، ص 184 ..
[3] - رشيد زرواتي ، التدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية ط 3 ، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008 ، ص 212 .
[4] - سعيد سبعون ، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات و الرسائل الجامعية في علم الاجتماع ، دار القصبة للنشر ، 2012 ، ص 37.
[5] - عمار بوحوش ، مناهج البحث العلمي و طرق إعداد البحوث ، الطبعة الثالثة ، 2001 ، ص33 .
[6] - فضيل دليو ، المرجع السابق ، ص 187 .
[7] - سعيدة شين ، محاضرات في تصميم البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، محاضرات غير منشورة ، جامعة بسكرة، ص 15.
[8] - نصر الدين جابر، الدراسات السابقة – مقاربة منهجية - ، مخبر الدراسات النفسية الاجتماعية، جامعة بسكرة ، دت ، ص 9.
[9] - http:// www.alba7es.com/page161.htm ، بتاريخ : 2018/10/09. الساعة 08:20 .